مدار الوطن
٢٦٥

في رمضان

لماذا يبكون ولا أبكي؟!

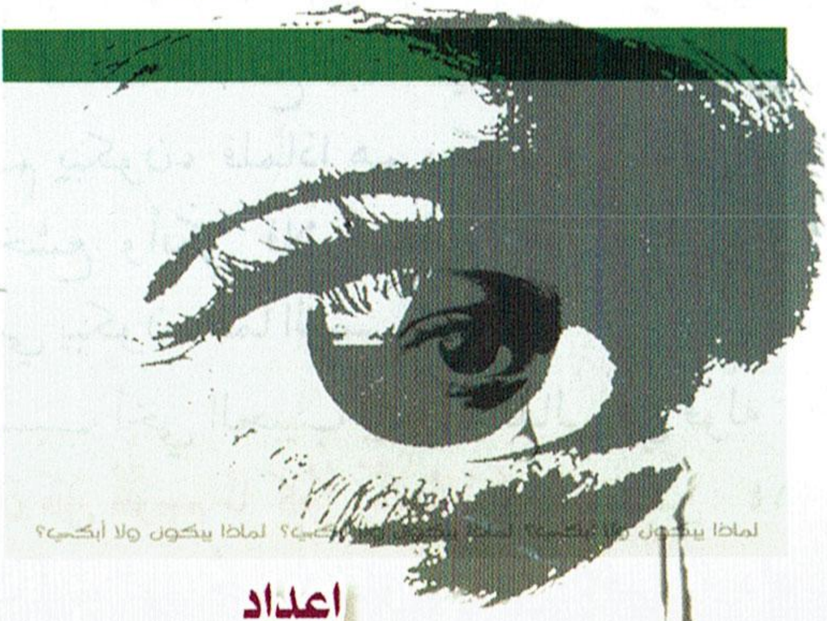

إعداد
إبراهيم الحمد

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب
الرياض - ص.ب ٣٣١٠ - هاتف ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس ٤٧٢٣٩٤١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، وأصلي وأسلم على رسول الله... وبعد:

فإن من أسباب الفلاح والنجاح في أمور الدين والدنيا أن يصارح الإنسان نفسه ولا يلتمس لها الأعذار حتى لا يفاجئه الموت ثم يندم وحينها لا ينفع الندم.

أخي الحبيب: إن فضل البكاء من خشية الله عظيم، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله** ـ وذكر منهم: **رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**». [متفق عليه].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**عينان لا تصيبهما النار: عينٌ بكت من خشية الله، وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله**». [أخرجه الترمذي وهو صحيح].

أخي.. سؤال يجول في داخل كثير من المقصرين ـ ونحن جميعًا مقصرون نسأل الله أن يعفو عنا ـ عندما نسمع آيات القرآن تُتلى أو أحاديث الرسول ﷺ أو أخبار السلف الصالح نجد كثيرًا من الناس ممن رقت قلوبهم يبكون، فلماذا هم يبكون ولا أبكي؟ أحاول أن أخشع وأبكي فلا أستطيع! مَنْ بجانبي وأمامي وخلفي يبكون. فما السبب؟!

السبب أخي الحبيب بيَّنه الله تعالى في قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، أي بسبب أعمالهم حُجبت قلوبهم عن الخير وازدادت في الغفلة. فهذا هو السبب الحقيقي في قلة البكاء من خشية الله تعالى.

نماذج رائعة

أخي الحبيب... إليك هذه النماذج الرائعة من بكاء الصالحين خوفًا ورجاءً وحبًّا لربِّهم تعالى:

● ها هو صلى الله عليه وسلم كما تقول عنه عائشة: قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال يؤذنه بالصلاة. وكان عليه الصلاة والسلام يصلي في الليل إحدى عشرة ركعة يسجد السجدة الواحدة قدر ما يقرأ خمسين آية.

● وكان على خديّ عمر بن الخطاب خطَّان أسودان من شدة بكائه من خشية الله تعالى.

● وجاء عن عمر بن عبدالعزيز أنه كان يذكر الله في فراشه فينتفض كما ينتفض العصفور من شدة الخوف.

● وتوضأ منصور بن ذاذان يومًا فلما فرغ دمعت عيناه ثم جعل يبكي حتى ارتفع بكاؤه. فلما قيل: ما شأنك؟ قال: وأي شيء أعظم من شأني؟ إني أريد أن أقوم بين يدي مَنْ لا تأخذه سنة ولا نوم!!

● وها هو عبدالله بن الزبير رضي الله عنه كان من خوفه من الله وتلذذه بالعبادة يركع أو يسجد فتأتي الطيور فتقع على ظهره تظنه جذم حائط من طول السجود.

● **وقال أبو بكر بن عياش**: رأيت حبيب بن ثابت ساجدًا، فلو رأيته قلت ميت؛ يعني من طول السجود.

● وذكر يزيد بن الكميت عن أبي حنيفة رحمه الله أنه ذات ليلة بعد صلاة العشاء في المسجد وهو جالس أخذ يتذكر ويتنفس ثم قام وأخذ بلحية نفسه وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خيرٍ خيرًا، ويا من يجزي بمثقال ذرة شرّ شرًّا، أجرِ النُّعمانَ عبدك من النار ومما يقرِّب منها من السوء، وأدخله في سعة رحمتك. وطلع الفجر وهو على هذه الحال ولم يشعر.

يحيـون ليلهـم بطـاعـة ربهـم
بتـــلاوة وتضـــرع وســـؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم
مثـل انهمـال الـوابـل الهطـال

لماذا يبكون؟

ما الذي جعل هؤلاء الأخيار يخشعون ويبكون بل ويتلذذون بذلك ونحن لا نبكي؟! إنهم ابتعدوا عن المعاصي وأكثروا من القربات، وعظَّموا ربَّ الأرض والسموات، وجعلوا الآخرة نصب أعينهم في حال سرِّهم وجهرهم، عندها صَلُحت قلوبهم وذرفت دموعهم. أما نحن فعندما فقدنا هذه الأمور فسدت قلوبنا، وجفَّت عيوننا.

أخي الحبيب: اعلم أن الخشية من الله تعالى التي يعقبها البكاء لا تأتي ولا تستمر إلا بلزوم ما يلي والاستمرار عليه:

١ ـ التوبة إلى الله، والاستغفار بالقلب واللسان، حيث ينطرح بين يدي مولاه تائبًا خائفًا قد امتلأ قلبه حياءً من ربِّه العظيم الحليم الذي أمهله وأنعم عليه ووفَّقه للتوبة.

مـا أحلـم الله عنـي حيـن أمهلنـي
وقد تماديت في ذنبي ويسترني
تمـرُّ سـاعـات أيـامـي بـلا نـدم
ولا بكـاء ولا خـوف ولا حـزن
يـا زلـة كتبـت فـي غفلـة ذهبـت
يا حسرة بقيت في القلب تحرقني
دعني أسح دموعًا لا انقطاع لها
فهل عسى عبرة منها تخلصني

وهذا الطريق يتطلب وقفة صادقة قوية مع النفس ومحاسبتها.

٢ ـ **ترك المعاصي والحذر كل الحذر منها**، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، فهي الداء العضال الذي يحجب القلب عن القرب من الله، وهي التي تظلم القلب وتأتي بالضيق.

٣ ـ **التقرب إلى الله بالطاعات** من صوم وصلاة وحج وصدقات وأذكار وخيرات.

٤ ـ **تذكر الآخرة**، والعجب كل العجب أخي الحبيب أننا نعلم أن الدنيا ستنتهي، وأن المستقبل الحقيقي هو الآخرة، ولكننا مع هذا لا نعمل لهذا المستقبل الحقيقي الدائم.

ها هو الله سبحانه يذكِّرنا فيقول: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

٥ ـ **العلم بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وشرعه**، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وكما قيل: **من كان بالله أعرف كان لله أخوف**.

فالقلب الحي العالم يستحي من عظمة الذي وسع كرسيه السموات والأرض، يخاف ممن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، يرجو من هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، ويزداد حبًّا له جلَّ شأنه.

٦ ـ **ثم أوصيك بالإكثار من القراءة عن أحوال الصالحين والاقتداء بهم**.

وفي الختام إليك أخي الحبيب هذه القصة:

عن سفيان قال: بلغنا أن أم الربيع بن خثيم كانت تنادي فتقول: يا بُني، يا ربيع، ألا تنام؟ فيقول: يا أماه من جنَّ عليه الليل وهو يخاف حُقَّ له ألا ينام، قال: فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسهر نادته فقالت: يا بُني، لعلك قتلت قتيلاً؟ فقال: نعم يا والدتي قتلت قتيلاً، قالت: ومن هذا القتيل يا بُني نتحمل على أهله فيعفوك، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لرحموك؟ فيقول: يا والدتي هي نفسي.

انظر أخي كيف يعاتب ويتَّهم حاله بأنه قد ضيَّع نفسه وترك تربيتها- وهو المعروف بالعبادة والخير والصلاح، فماذا نقول نحن؟! ومن أي فريق نكون ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

أنا العبد الذي كسب الزنوبا
وغرته الأماني أن يتوبا
أنا العبد الذي قد ضاع عمري
فلم أكسب به إلا الذنوبا
أنا العبد الذي أضحى حزينًا
على زلاته قلقًا كئيبا
أنا العبد المخلف عن أناس
حووا من كل معروفٍ نصيبا

أخي الفاضل: إن في أيام رمضان، أيام الخير والبركة لفرصًا عظيمة يرجع فيها العبد إلى ربِّه حين تصفد الشياطين، وتفتح أبواب الخير وتكثر الطاعة؛ فَعُد إلى ربك، وتقرَّب منه، وانطرح ببابه، وأكثر من القربات، وتخلَّص من قيود المعاصي، وأسوار الخطايا، وعندها ستجد العين تدمع، والقلب يخشع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

تجدون المزيد على موقع المطويّات الإسلاميّة : www.matwiat.com